بسم الله الرحمن الرحيم

غياب الإسلام عن الناحية الاجتماعية؛ ضحايا وخطيئة باقية

في إطار الحملة التي تقوم بها حاملات الدعوة في حزب التحرير / ولاية السودان بعنوان "الخلافة قضية حياة أو موت" قامت الأخوات بزيارة إلى دار المايقوما لرعاية الأطفال اللقطاء بالخرطوم، وكنت معهن، فكتبت هذا الموضوع:

شعرت بالحزن أمام هؤلاء الأطفال، أطفال وجدوا أنفسهم أمام واقع مرير قاسٍ وموجع، أطفال حرموا من حنان الأمومة وعطف الأبوة.. إنهم اللقطاء..

واللقيط في اللغة هو ما يُلقط واللقط هو أخذ الشيء من الأرض، فهو فعيل من اللقط بمعنى مفعول مثل قتيل، وفي الاصطلاح عند الشافعي هو صغير منبوذ في شارع أو مسجد أو نحو ذلك، لا كافل له معلوم. ويعيش هؤلاء اللقطاء في دار المايقوما والتي أُنشئت في العام ١٩٦١م، وكانت عبارة عن مشفى لصحة الأمومة والطفولة تتبع لوزارة الصحة، ويتم استيعاب الأطفال فيها من جميع أنحاء السودان، وتستقبل الدار ٧٠٠ طفل رضيع سنوياً - نقلاً عن صحيفة الرأي العام السودانية - وللأسف؛ تستقبل المشرحة ما بين٣٠٠ إلى ٦٠٠ طفل ميت كل سنة لتعرضهم للقتل (الوأد) بواسطة أسرهم، إما خنقاً أو شنقاً أو ذبحاً، أو برميهم في المراحيض، ومنهم من كان وجبة للكلاب الضالة والقطط لاعتقادهم بأنهم "يقتلون الفضيحة" وللأسف بعد ذلك تكون الجريمة جريمتين: جريمة الزنا وجريمة القتل. وهناك الكثير من هؤلاء الرضع مفقودون..

في زيارتنا هذه سألناهم كم العدد الذي يأتي للدار؟ فقالوا في الشهر الواحد يدخل الدار ٧٥ رضيعاً، وكشفت مصادر أن عدد الأطفال في الزمن الماضي كان يتراوح بين٥ إلى ٦ أطفال في اليوم، ليزيد في مواسم الاحتفالات الماجنة كعيد الحب ورأس السنة والكريسماس، أما الآن فالعدد في تزايد مستمر خلال السنة، وأكدت سجلات الشرطة أن العدد الذي يصل الدار لا يمثل سوى ٥٠% من عدد الأطفال الذين يُبلغ عنهم لدى الشرطة.

وقالت مسؤولة بالاتحاد العام للمرأة السودانية بولاية الخرطوم، إن الدار تستقبل يومياً طفلين، وهذا فضلاً عن الذين لا يصلون الدار لأن أغلب الأطفال يموتون نتيجة تسمم الدم، والسبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى قطع الحبل السري بآلات غير معقمة؛ من سكين وموس ومقص لأن أغلب الولادات تتم في الظلام بصورة غير قانونية وأغلب الأطفال الأحياء يعانون من استسقاء في الرأس وشلل دماغي وعيوب خلقية ناتجة عن محاولة إجهاض فاشلة!

وتتلقى "دار المايقوما " الدعم المادي من الدولة ممثلة في مجلس رعاية الأمومة والطفولة وتساهم فيها مجموعة من المنظمات مثل منظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة اليونسيف، ومنظمة أنا السودان. ويعيش في الدار الأطفال من عمر يوم وحتى ٥ سنوات ثم يحولون إلى "قرية الأطفال" والتي أُنشئت في العام ١٩٧٥م إثر الاتفاقية القطرية العالمية، والتي عقدت بين حكومة السودان ومنظمة SOS على إنشاء قرية للأطفال المحرومين.

إن هذه الظاهرة ليست في السودان فقط بل في كل البلاد العربية والإسلامية، ووفقاً لتقرير سابق لمركز الدراسات الإستراتيجية الأمنية، فإن معدل اللقطاء السنوي في الأردن ٣٦ طفلاً لكل ستة ملايين نسمة، وفي مصر ٩٠٠ لقيط لكل ١٢ مليون من أصل ٧٥ مليون نسمة، وفي السعودية ٨٠٠ لقيط، والسودان عدد سكانه ٣٦ مليون نسمة ومعدل اللقطاء ١١٠٠ طفل رضيع.

إن ثمن المتعة العابرة تتحرك في الأرحام فتدفع إلى الحياة مولوداً مصيره، إذا لم تنهشه الكلاب، فإنه ينقل إلى الدار أو الموت، وإذا وصل إلى الدار فإنه منبوذ من الناس، ولا يتفاعل مع المجتمع، ولا يكون عنده شعوره بالانتماء، فلا يعرف معنى العلاقات داخل الأسرة ولا يتلقى الرعاية الكافية، ويعيش في عزلة، وهذا يمنع نموهم النفسي والعاطفي واللغوي وكما تعدُد الأمهات البديلات، مما يؤدي إلى تشتت المشاعر بالإضافة إلى أن وصمة العار التي تلحقهم، تجعل منهم شخصيات غير سوية..

والحلول المطروحة للمشكلة لا تخرج عن إطار أفكار الكفر التي تسيطر على الحكومة فيتم توزيع موانع الحمل من خلال منظمات غربية لطالبات الجامعات، ولا يمنع الاختلاط في مباني الجامعة ولا يتم توعية الشباب والفتيات وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة الثابتة، لإيجاد شخصيات إسلامية قوية، لا تقع في براثن الموبقات، ثم إن الحكومات لا تفرض على الفتيات الزي الشرعي، بل بالعكس، فالمجتمع مهيأ لارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويروج لتقليد حياة الغرب الماجنة وللحريات المفسدة، وللبعد عن الإسلام وأحكامه، بحجة العصرنة والحداثة، كل هذه المفاهيم الهدامة تجعل من جريمة الزنا مسهلة، وهذا ما ورثناه من دولة "الديمقراطية" و"الحريات" و"العولمة" التي تفتح الباب على

مصراعيه من هواتف جوالة وفضائيات ومسلسلات، وفي غياب التوعية المطلوبة الكاملة بالنظام الاجتماعي في الإسلام، ومن اختلاط وخلوة وعلاقات بدون حواجز في الجامعات، ودراسة حتى ساعات متأخرة من الليل وشباب بلا هدف وبلا قيم لا مستقبل يشجعهم ولا وطن يحترمهم، وانتشار واسع للمسكرات والمخدرات في أوساط الشباب، ومنظمات غربية غربية تعمل ضد الإسلام تستهدفهم فتقنع الشباب والفتيات بأن ممارسة العلاقات حق لهم، وأن الزواج المبكر خطر على صحة المرأة.

ومن الأسباب التي تدفع الفتيات إلى ارتكاب الفاحشة العوز والحاجة والفقر. تروي فتاة قصتها أنها لم تذق الطعام لأربعة أيام وتحيا على الماء فقط، فالظروف الاقتصادية تؤدي إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والتفكك الأسري وعجز الآباء عن توفير المصاريف للدراسة للطالبات القادمات من الأقاليم، فتلجأ البنت إلى المتاجرة بعرضها والعياذ بالله، كما يتسبب الفقر كذلك في ازدياد نسب الطلاق وتأخير سن الزواج وارتفاع تكاليفه فيقع الشباب والفتيات في فخ الحرام، مطمئنين لعدم العقوبة في الدنيا وغافلين عنها في الآخرة!

يقول الشيخ الجليل تقي الدين النبهاني - مؤسس حزب التحرير - رحمه الله، في كتابه "النظام الاجتماعي في الإسلام": [صلة الرجل بالمرأة وصلة المرأة بالرجل من الناحية الجنسية الغريزية صلة طبيعية لا غرابة فيها بل هي الصلة الأصلية التي بها وحدها يتحقق الغرض الذي من أجله وجدت الغريزة وهو بقاء النوع...]، [إلا أن إطلاق الغريزة مضر بالإنسان وبحياته الاجتماعية، والغرض من وجودها إنما هو النسل لبقاء النوع...]، [وقد جاءت آيات القرآن منصبَّة على الناحية الزوجية... فجاءت الآيات مبينة أن الخلق للغريزة من أصله إنما كان للزوجية، أي لبقاء النوع، وقد بينت ذلك بأساليب مختلفة، ومعانٍ متعددة، لتجعل نظرة الجماعة إلى صلات المرأة بالرجل نظرة مسلطة على الزوجية، لا على الاجتماع الجنسي، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾...]، [والذي يثير الغريزة أمران: أحدهما الواقع المادي، والثاني الفكر ومنه تداعي المعاني. وإذا لم يوجد واحد من هذين العاملين لا تثور الغريزة. فهي لا تثور من دافع داخلي كالحاجة العضوية]، [لذلك كان جعل غريزة النوع تتطلب إشباعاً أمراً يمكن للإنسان أن يتصرف في توجيه هذا الإشباع، بل يمكن أن يتصرف في إيجاده، أو الحيلولة بينه وبين أن يتحرك إلى حيث يتجه نحو بقاء النوع. ولذلك كانت رؤية النساء، أو أي واقع يتصل بغريزة النوع يثير الغريزة، ويجعلها تتطلب الإشباع. وكانت قراءة القصص الجنسية وسماع الأفكار الجنسية يثير غريزة النوع. وكان الابتعاد عن النساء، وعن كل ما يتصل بغريزة النوع، والابتعاد عن الأفكار الجنسية، يحول بين غريزة النوع وبين إثارتها. لأنه لا يمكن أن تثور غريزة النوع إلا إذا أُثيرت، بواقع مادي أو بفكر جنسي]. [وبهذا يتبين خطأ وجهة النظر الغربية والشيوعية التي جعلت نظرة الجماعة إلى الصلات بين الرجل والمرأة مسلطة على صلة الذكورة والأنوثة، وبالتالي خطأ علاج هذه النظرة بإثارة الغريزة في الرجل والمرأة بإيجاد ما يثيرها من الوسائل كالاختلاط والرقص والألعاب والقصص وما شابه ذلك. كما يتبين صدق وجهة النظر الإسلامية التي جعلت نظرة الجماعة إلى الصلات بين الرجل والمرأة مسلطة على الغرض الذي من أجله وجدت هذه الغريزة وهو بقاء النوع، ويظهر بالتالي صحة علاج هذه النظرة بإبعاد ما يثيرها من الواقع المادي والفكر الجنسي المثيرين، إذا لم يتأتَ لها الإشباع المشروع بالزواج وملك اليمين. فيكون الإسلام وحده هو الذي يعالج ما تحدثه غريزة النوع من الفساد في المجتمع والناس علاجاً ناجعاً، يجعل أثرها محدثاً الصلاح والسمو في المجتمع والناس.] انتهى

فكم نحتاج اليوم إلى أن يكون نظام الإسلام الكامل مطبقاً، فهذه الأنظمة فشلت في تحكيم شرع الله ونجحت في علمنة المجتمعات في بلاد المسلمين، فالأمة تحتاج للنظام السياسي ونظام الحدود والعقوبات والنظام الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي في الإسلام لأن تكون جميعها مطبقة، لتنقذ البشرية من هذه الجرائم التي يدفع ثمنها أطفال أبرياء.

إن عيون الأطفال في دار المايقوما تنادينا ولسان حالهم يقول (لقد فقدنا الآباء وفقدنا الأمهات ولم يبق لنا غير دولة الخلافة ممثلة في خليفة المسلمين الذي سيقيم الحد على مرتكبي الزنا).

فالحل ليس في الجمعيات الخيرية أو تقديم حليب للأطفال أو ملابس أو غيرها، فهو مسكّن لمرض خطير، بل الحل في إقامة دولة الخلافة التي تطبق الشرع الإسلامي بالأحكام التي شرعت لجميع نواحي الحياة ومنها النظام الاجتماعي، فيكون خير نظام يمنع أن تنشأ هذه المشكلة بالأساس.

كتبته لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

أختكم أم منيب - ريم جعفر